# معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية
# جوانب انثروبولوجيّة ونفسية واجتماعية

للدكتور سمير ستيتيه
جامعة اليرموك

**مقدمة :**

ادى اكتشاف اللغة السنسكريتية في القرن الثامن عشر الميلادي الى ظهور علم اللغة التاريخي، وما ارتبط به من مقارنات لغوية. فقد قام فريق من العلماء المتخصصين بدراسات مقارنة بين اللغات الهندو اوروبية، وتوصلوا الى نتائج باهرة حول العلاقات التاريخية بين هذه اللغات، وكيفية تطورها، وتفرع بعضها عن بعض. بل انهم استطاعوا ان يبنوا تصورا واضحا للأصول التي تفرّع عنها عدد من اللغات، وذلك باعادة بناء هذه الاصول reconstruction من فروعها اللغوية المستعملة.

وقد افاد المستشرقون من هذه الدراسات في مقارناتهم بين اللغات السامية، وقدموا لهذا الميدان الكثير من الابحاث والدراسات التي لم يُسبَقوا اليها. وقد كان العمل في ميدان المقارنات بين الساميات عملا استشراقيا الى حد كبير، في بدايات هذا العمل بخاصة، حتى إن احد العلماء المعاصرين، يرى انه سيمضي وقت طويل قبل أن يقف علم المقارنات بين اللغات السامية على قدم وساق في البلاد العربية[1] مشيرا بذلك الى ان المستشرقين هم اصحاب قصب السبق والقدح المعلّى في هذا المجال، حتى ايامنا الحاضرة.

---

١ – رمضان عبد التواب، مقدمة ترجمته لفقه اللغات السامية ص ٧

ولا انكر ان بعض العلماء العرب الأقدمين قد فطنوا الى العلاقة بين اللغة العربية واللغات السامية. فلقد اشار الخليل بن احمد الى العلاقة بين العربية والكنعانية [٢] وكذلك أشار ابن حزم الى ان العربية والسريانية فرعان لاصل واحد، وانهما تفرعتا مع الزمن، من هذا الاصل [٣] بل ان بعض علماء العرب قد افرد كتبا مستقلة لرصد ما في العربية من كلمات دخيلة، سامية كانت ام غير سامية، وذلك كما فعل السيوطي في كتابه «المذهب» والجواليقي في كتابه «المعرب» ولكن ذلك، على اهميته، لا يتفق مع المنهج الجديد في المقارنات بين الساميات.

## المنهج المتبع

درج المستشرقون في مقارناتهم بين اللغات السامية على الحديث عن تاريخ اللغات السامية، وكيف تفرّعت عن السامية الام، حتى اصبحت لغات مستقلة. ولقد اعتمدوا في ذلك على مصادر تاريخية ودينية، كما اعتمدوا على النقوش والآثار التي وجدوها في مناطق مختلفة من الشرق الاوسط.

واهتم الباحثون في هذا الميدان، وجلّهم من المستشرقين، بالمقارنة بين فونيمات اللغات السامية، بالمقارنة بين الظاهرات والتغييرات الصوتية، في هذه اللغات، من مماثلة assimilation ومخالفة dissimilation وقلب مكاني metathesis وحذف deletion وزيادة insertion واماله، وغيرها من الظاهرات الفونولوجية.

واهتموا كذلك بالمقارنة بين الانظمة الصرفية، في لغتين او اكثر من هذه اللغات، وذلك بابراز السوابق Prefixes واللواحق sufixes والدواخل infixes عند تصريف الافعال مثلا، وتغير هذه اللواصق او بعضها، تبعا لتغيُّر زمن الفعل (ماض، مضارع، امر) والعدد (مفرد، مثنى، جمع) والجنس (مذكر ومؤنث). كما اهتموا بسائر الموضوعات التقليدية في الصرف، فجعلوها مدار مقارناتهم بين اللغات السامية.

ولست انكر انهم اولوا المقارنة بين انظمة الجمل في اللغات السامية عناية خاصة

---

٢ – الخليل بن احمد **العين** ج ١ ص ٢٣٢

٣– ابن حزم **الاحكام في اصول الاحكام** ج ١ ص ٣٠

وذلك كما فعل بروكلمان الذي خصص جزءا من كتابة sernitische sprachwissenschaft لدراسة نظام الجملة في اللغات السامية. لكن هذا المجال من المقارنة، لم يلق اهتماما كبيرا، بالدرجة نفسها التي لقيتها دراسة المقارنات في الاصوات والصرف بين اللغات السامية.

ومما يلاحظ، ان علماء مقارنة الساميات، يهتمون برصد الظاهرات اللغوية في هذه اللغات، اكثر من اهتمامهم بتفسيرها، بخلاف ما نراه في درس اللغويات المقارن بين اللغات الهندو اوروبية.

ان تفسير الظاهرات اللغوية، في اسرة لغوية واحدة، من اهم وظائف علم اللغة التاريخي. وان هذا التفسير يتطلب، بداهة، ربطها بجذورها الانثروبولوجية والاجتماعية، وردها الى اصولها النفسية والثقافية، فان «ارتباط اللغة بوظيفتها او بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية، يؤثر بالضرورة، في حياة اللغة. فهناك فرق بين ان تكون اللغة لغة جماعة محدودة، او ان تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، او ان تكون لغة حضارة دولية [1] ولهذا، لا يكفي رصد الظاهرات اللغوية، في المجموعة السامية، دون تفسيرها في ضوء المعطيات المشار اليها اعلاه. ولئن كان ائمة درس المقارنات بين الساميات قد أجادوا بدقة رصدهم الظاهرات اللغوية، فقد تركوا لمن بعدهم مهمة التفسير، وذلك برد الظاهرة الى اصولها الثقافية والاجتماعية والنفسية.

و مما يلاحظ في ميدان المقارنة بين الساميات، انه اذا حدث ان فسرت ظاهرة ما، اسقط من الاعتبار بعض العوامل الموضوعية، التي يجدر ان تظل في دائرة الضوء، والتي يمكن ان تحمل بين طياتها حلا مقبولا لظاهرة ما، لقد حاول الباحث الاميريكي Michale Brame تفسير عدم ادغام اللام في ( ال ) التعريف بالجيم العربية المعطشة ( J ) فارتأى ان اللام لا تدغم في الجيم على الرغم من كون الاخير صوتا صامتا Consonant و اكليليا Coronal، وعلى الرغم من ان اللام تدغم في الصوامت الاكليلية جميعا) لأن الجيم

---

١- محمود فهمي حجازي. **علم اللغة العربية** الكويت، ١٩٧٣، ص ٤٠

٢- Michale Brame **Arabic Phonology** Nonpulished P.h. D dissertation M. IT 1970 P 220

المعطشة متطورة عن الجيم السامية (g) التي تنطق كالجيم المصرية. ولما كانت اللام لا تدغم في الجيم الحنكيّة المتأخرة – اي الجيم السامية – فقد عوملت الجيم المَعّطشة معاملتها، اي أنها عوملت باعتبار ما يعامل به اصلها السامي g.

لا يخفى ما في هذا التفسير من تكلف، وكان يغني عنه النظر في جميع ملامح الجيم المعطشة (J) لنخرج بان هذا الصوت يتميز بملمح ليس موجودا في جميع الصوامت التي تدغم فيها اللام. هذا الملمح هو ان الجيم المعطشة صوت مركب. وهو اذن ملمح فارق، ليس موجودا في سائر الاصوات التي تدغم فيها اللام، فلا يدرج معها، ولا يوضع معها في زمرة واحدة. وعليه، يكون حل معادلة ادغام اللام في بعض الصوامت كما يلي:

$$[+\text{def}] \longrightarrow \text{Ci} \,/\, \longrightarrow \text{Ci} \quad \begin{bmatrix} +\text{cor} \\ -\text{aff.} \end{bmatrix}$$

وتقرأ المعادلة كما يلي: تدغم لام (أل التعريف) بالصامت الذي يليها بشرطين: ان يكون اكليليا [cor +]، وألا يكون مركبا [aff -]

## تفسير الظاهرات اللغوية:

ان الهدف الاساسي من هذا البحث، هو ربط الظاهرات اللغوية المتنوعة، في اللغات السامية، بالعوامل الانثروبولوجية والاجتماعية والنفسية والثقافية للشعوب السامية. وأقدم فيما يلي بعض الظاهرات الصوتية والصرفية والتركيبية؛ لأبيّن كيف يمكن تفسيرها في ضوء هذه الاعتبارات.

### ١ – في الاصوات:

ان ربطنا لدراسة الاصوات في اللغات السامية بالعوامل الثقافية، يعطينا تفسيرا مقبولا لعدد من الظاهرات الصوتية في هذه اللغات. فالسبب الثقافي الديني هو الذي يجعل افراد الطائفة السامرية في مدينة نابلس مثلا، ينطقون بعض الاصوات الصفيرية فيما بينهم دون صفير، زعماً منهم بأنهم يقلدون موسى عليه السلام في نطق هذه الاصوات. فهم

ينطقون الزاي Z وكأنها ذال ( ظ ) وينطقون السين والشين ( S ) S وكأنهما ثاء ( $\theta$ ) وبعض رجال الدين منهم لا ينطقون الاصوات الصفيرية، عن عمد، لا عن عجز ولا قصور.

ويبدو ان الخلاف الديني والاجتماعي بين اليهود والسامريين، قد ادى الى فروق لغوية كثيرة حتى في الاصوات. ولا غرابة في ذلك؛ فهناك من يعزو ترك اليهود لخطهم القديم. الذي كان يعتمد على الخط الكنعاني، واستعمالهم الخط الجديد المربع، الى الخلاف بين اليهود والسامرة، إذ ان اليهود كرهوا ان يساويهم السامريون في كل شيء، فتركوا خطهم، وراحوا يكتبون بالخط الجديد[1] ولعل دراسات اعمق لمجتمع السامريين، وأعرافهم الدينية، تؤدي الى كشف بعض الحقائق اللغوية، مما يفيد في درس الساميات المقارن.

ان ارتباط الساميين بلغاتهم، لايقل عن ارتباطهم بجنسهم، ونطق بعض جماعاتهم لبعض الاصوات، مختلفا عن نطق جماعات اخرى لهذه الاصوات، يمكن ان يكون من اهم مكوناتهم النفسية. فهو ليس مجرد اختلاف في النطق وحسب، وانما هو، الى ذلك، عامل نفسي اجتماعي. فقد ورد في العهد القديم ان احدى القبائل في عهد ابراهيم عليه السلام، كانت تنطق السامخ (S̄) وهو صوت بين السين والشين، شينا، ظاهر هذه الاشارة يتحدث عن اختلاف لهجي، ولكن مضمونها يحمل بين طياته، لونا من النقد المبطن لهذه القبيلة التي تخلت عن نطق السامخ.

اننا لا نستطيع ان نستوعب مفهوم الفصاحة eloquency عند العرب، الا اذا عرفنا أبعاده اللغوية والنفسية والاجتماعية، فالبعد اللغوي للفصاحة يتمثل في كون الالفاظ بيّنة ظاهرة، متبادرة الى الفهم، وفي كون الكلمة متآلفة، يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها [2] ويتمثل البعد الاجتماعي للفصاحة في انها انموذج ومعيار سلوكي behavioral norm في المجتمع العربي، يمتدح لاجله من يكون فصيحا، ويذم من يكون غير ذلك. وقد ارتبط نطق معيّن لبعض الاصوات العربية، بمفهوم الفصاحة عند

---

١ – عوني عبد الرؤوف، **قواعد اللغة العربية** ص ١٨

٢ – احمد الهاشمي **جواهر البلاغة** ص ٧.

العرب، مما يوحي بأن الامر لم يعد امر نطق معين، وانما اتخذ، الى جانب ذلك، بعدا اجتماعيا ونفسيا. روي عن عمر بن الخطاب انه كان من افصح الناس، لأنه كان ينطق الضاد من الجانب الايمن، مثلما كان ينطقها من الجانب الايسر ان شاء.

ان تسميةالعربية بأنها لغة الضاد يؤيد ما نحن بصدده، من ان نطق اصوات معينة، بكيفية معينة، اتخذ بعدا اجتماعيا ثقافيا. واذا اردنا ان نناقش صحة تسمية العربية بهذا الاسم، كان علينا ان ننظر في الوصف التاريخي لهذا الفونيم. يقول سيبويه: ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لانه ليس شيء من موضعها غيرها[1] ولقد ذهب بعض اللغويين المعاصرين الى افتراض ان يكون سيبويه، ومن بعده من اللغويين، قد اخطأوا في وصف هذا الفونيم، فظنوه رخوا لا وقفيًا، او ان نطق الضاد كان مثل نطق الضاد، على نحو ما هو معروف في بعض اللهجات العامية المعاصرة، في كثير من البلاد العربية[2].

اما الافتراض الاول، وهو ان سيبويه وسائر اللغويين، قد اخطأوا في وصف هذا الفونيم، فيرده ان سيبويه قد قرن بين النظائر، بصورة يزول معها الاحتمال بأنه وقع في الخطأ. فهو يقابل بين الصاد والسين، ويقابل بين الذال والظاء، باعتبار الاطباق وعدمه. ولكنه لايقابل بين الدال والضاد باعتبار الاطباق، فهو اذن يعي ما يقول.

وهو لذلك غير مخطيء بعدم مقابلة الضاد بالدال، مما يدل على أن الضاد لم يكن الصورة المفخمة للدال.

وأما الافتراض الثاني، وهو أن الضاد كان ينطق مثل الظاء، فرأي مرجوح، وقول مردود. ولا يشفع له أن الضاد ينطق ظاء في كثير من اللهجات المحكية المعاصرة في البلاد العربية. بل ان هذا القول مدفوع بما يلي:

١ – اننا لا نجد عالما واحدا يصف الضاد بأنه كأن ينطق ظاء. بل لم نجد عالما واحدا يصف الظاء بأنه صوت ينطق جانبيا، كما كان حال الضاد، الذي وصفه علماء العرب جميعا، بأنه ينطق من الجانب الايمن، أو من الايسر، أو منهما معا.

---

١ – سيبويه. **الكتاب ج٤** بتحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٥، ص ٤٣٦.

٢ – كمال بشر. **علم اللغة العام– الأصوات**، ص ١٠٥

٢ – وصف العرب لغتهم بأنها لغة الضاد، ولم يصفوها بأنها لغة الظاء. وهو اعتراض نرد به كذلك، على من يزعمون أن النطق القديم للضاد، هو نفس النطق المعاصر للضاد في العربية الفصيحة المعاصرة. فلو كان الضاد ينطق وقفيا على نحو ما ننطقه، معاشر المتخصصين، هذه الايام، لما سمّى العرب لغتهم لغة الضاد. فالضاد الوقفي كان موجودا في اللغة الحبشية، وكان العرب يعرفون ذلك، لأن جالية من الاحباش كانت تعيش في مكة، وكان بلال بن رباح، مؤذن الرسول ﷺ منهم. واذن، فلا بد أن يكون نطق الضاد العربي مختلفا عن نطق الضاد في الحبشية، حتى تسوغ تسمية العربية بأنها لغة الضاد. والنتيجة، أن تسمية العربية دون سائر الساميات، بلغة الضاد متسق مع الحقيقة، بشرط أن يكون الضاد كما وصفه سيبويه وغيره، لا كما ننطقه في فصيحتنا المعاصرة، اذ ان الصيغة النطقية الاخيرة موجودة في اللغة الحبشية Gazi. وتسمية العربية بأنها لغة الضاد، اتخذ بعدا اجتماعيا ونفسيا، فيه شيء من نظرة التميز والعلوّ.

ستة أصوات في العبرية القديمة تنطق وقفية شديدة، اذا لم تكن مسبوقة بحركة. وتنطق رخوة، اذا كانت مسبوقة بحركة. هذه الأصوات هي:

/ בּ ، גּ ، דּ ، כּ ، פּ ، תּ /

هذا في العبرية القديمة، أما في العبرية الحديثة، فاليهود الشرقيون، دون الغربيين، ما زالوا يحتفظون بالطريقتين السابقتين في النطق، في ثلاثة أصوات فقط من الستة السابقة، وهي: / בּ ، כּ ، פּ /

وهو خلاف قد يعزى الى أسباب ثقافية، فالشرقيون من اليهود، أقل اقبالا على التطور والتغيير من نظرائهم الغربيين. ولا أريد أن أقرر هنا أن الانسان الشرقي أقل قابلية للتطور من الانسان الغربي، على نحو ما ذهب اليه بعض علماء الانثروبولوجيا ولكنني أذهب الى القول، إن الانسان الشرقي، أكثر محافظة على قيمه وتراثه من الانسان الغربي.

يتبين مما سلف، أن ثمة ظواهر صوتية في اللغات السامية، يمكن أن تجد أجوبة مقنعة، اذا درست في أطر اجتماعية ونفسية وانثروبولوجية. ولست أدّعي ان كل ظاهرة صوتية يمكن أن تدرس او تفسّر بهذه المعايير. ولكنني أقول ان فيها ما يدفع الدرس اللغوي المقارن بين اللغات السامية، دفعة قوية الى الامام.

## ٢- في الصرف

غني عن البيان أن درس المقارنات بين اللغات السامية، يؤدي الى فهم أفضل لهذه اللغات، ومعرفة الصفحات المطوية من تاريخها. ولنأخذ مثالا لذلك ما يسمى في علم اللغة المعاصر بالبنية التحتية underlying form. فالصرفيون العرب افترضوا أن الالف في الافعال الثلاثية المعتلة والناقصة، منقلبة اما عن ياء واما عن واو. ف «قال» أصلها «قَوَل» و «رمى» أصلها «رمي»، بل ذهبوا الى أن الفعل الثلاثي في مثل «ردّ» و«عد» و«جزّ» منقلب عن أصل، هو في هذه الأفعال«ردد» وعدد و«جزز».

وقد ذهب بعض المعاصرين الى ردّ افتراضات الصرفيين، بحجّة أن اللغة تدرس على ما هي عليه، لا في ضوء افتراضات ليس عليها دليل. ولو أن هؤلاء المعاصرين نظروا في اللغات السامية، قبل إصدار أحكامهم، لما أصدروها. ففي الحبشية نجد أنهم يستعملون الفعل، مشابها للصورة التي افترضها الصرفيون، ورفضها بعض المعاصرين، وذلك كما في الجدول التالي:

| الكلمة الحبشية | نطقها بالعربية | كتابتها الصوتية | المعنى |
|---|---|---|---|
| 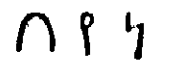 | بَيَنَ | bayana | تحقق |
| | تَلَوَ | talawa | تلا |
| 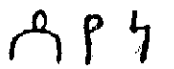 | دَيَنَ | dayana | دان |
| | رَمَيَ | ramaya | رمى |

وفي العبرية نجد نظيرا للفعل المضعف العربي، وقد فُكّ تضعيفه في العبرية، وذلك كما في الجدول التالي:

| الكلمة العبرية | نطقها بالعربية | كتابتها الصوتية | المعنى |
|---|---|---|---|
| 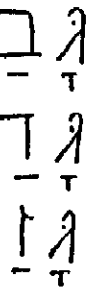 | چافـــف | ga:vav | لمّ، جمع |
|  | چـــاذذ | g a : ð a ð | قطع، قصّ |
|  | چـــازر | ga:zaz | قصّ |

ليس غريبا أن يكون في اللغات السامية كلمات مشتركة، يتطابق لفظها بين لغتين أو أكثر، وقد يتطابق اللفظ والمعنى. وقد وجدنا علماء المقارنة بين الساميات يهتمون برصد الكلمات المتشابهة في اللغات السامية. غير انهم لا يكادون يذهبون الى ما وراء ذلك؛ فقلما يتعرضون لدراسة تطور الالفاظ، وكيف تطورت دلالاتها من لغة سامية الى أخرى؛ فكثيرا ما يحدث ان تدل الكلمة الواحدة في لغة سامية ما، على نقيض ما تدل عليه في لغة سامية أخرى، وذلك مثل الفعل«أبى» في العربية، والذي يقابله في العبرية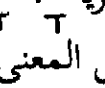«أفا»، الذي يعني شاء ورضي. وقد تستعمل الكلمة الواحدة للدلالة على المعنى وضده في اللغة الواحدة(١).

ان قوانين علم اللغة التاريخي، تفسر تطور الالفاظ ودلالاتها. وقد استخدمت هذه القوانين استخداما جيدا في تفسير تطور اللغات الهندو أوروبية. ولم تستخدم هذه القوانين بكفاية، في تفسير تطور الكلمات ودلالاتها في اللغات السامية. وتتطوّر دلالات الكلمات في اللغة عادة ضيقا واتساعا. فأذا اتسع محتوى الكلمة ضاق مجالها واذا ضاق محتواها اتسع مجالها[٢] وانما يتسع محتوى الكلمة او يضيق، تبعا لعوامل انثروبولوجية اجتماعية، او نفسية وثقافية. ونأخذ مثلا لهذا النوع من التطور كلمة «نفس» في العربية، ونظيرها العبري 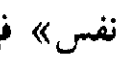 والسرياني 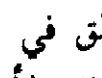 فهذه الكلمة تطلق في اللغات الثلاث، على النفس الحية، وعلى جسد الميت. وانما كان الأمر كذلك لأن محتوى الكلمة اصلا، كان يتضمن كل ذي جسد حي؛ ليكون مجالها

١ – انظر تفصيل ذلك في كتاب د. ربحي كمال، **التضاد في ضوء اللغات السامية**، ١٩٧٥.

٢ – Thomas pyles **The Origins and Development of The English Language** 1971 p 345

الانسان حيا. ثم ضاق محتوى الكلمة، ليصبح «كل ذي جسد حي» فاتسع مجالها واصبح الجسد حيا وميتا. وهذا مبين في التوزيع التالي:

| الكلمة | المحتـــــــــــــوى | المجال |
|---|---|---|
| نفس | كل ذي جسد حي (اتّسع) | الجسد الحي فقط (ضاق) |
| نفس | كل ذي جسد (ضاق) | الحي والميت (اتسع). |

قلت ان الضيق والاتساع، قد يتمان بتأثير عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية. وهو في هذا المثال واضح بين. فالعقلية السامية تكره الموت وتأباه. لكنها في المقابل، تؤمن به لعوامل ثقافية دينية. واذن، واذن فلا بد من اضفاء بعض الخصائص على الميت، مما يعطى للحي اصلا. وكان ان اعطي لجسد الميت كلمة «نفس» وهي مما يعطى للحي.

ان معرفة الاساطير عند الامم السامية الوثنية. ومعرفة القصص الديني في الاديان السماوية التوحيدية، تخدمنا في تفسير الاعلام في كثير من الاحيان. نأخذ لذلك مثلا ظاهرة انتشار كلمة « عبد » وما تضاف اليه في العربية، على نحو اكثر مما نراه في سائر اللغات. وربما كان بعض الناس يتوقع وجود هذه الظاهرة في العبرية اكثر مما في العربية، فاليهود عاشوا عبيداً مذللين، في مصر، ايام الفراعنة. وقد استمرأوا العبودية، كما يروي تاريخهم. ولكننا لا نجد في اسمائهم عبد الحق، وعبد الرحمن، وعبد الناصر، وعبد القوي، وعبد الله، وعبد الجبار. ولكننا نجد مثل ذلك في العربية، حتى في الجاهلية، حيث يشيع لفظ العبودية مضافا الى بعض اسماء الله عز وجل، بل الى الأصنام وبعض الظواهر الطبيعية مثل عبد شمس، وعبد اللات، وعبد يغوث، وغير ذلك من نحوه. اقول نجد ذلك في لغة العرب الذين لم يعرفوا العبودية يوما، ولا ذاقوا ويلاتها، بل عاشوا ذوي أنفة وعزة، على الرغم من شظف العيش، وقساوة الطبيعة. والذي اراه في تفسير هذه الظاهرة، هو ان العرب كانوا يربطون بين الرجولة والعبودية لمعبودهم، فأخذت الكملة «عبد» مجالها من الذيوع والانتشار في الأعلام، الى ان رأينا ما رأيناه من شأنها في العربية.

تنعكس الطبيعة والبيئة العربية، على الاسماء والاعلام العربية، انعكاساً واضحا جدا فالعرب يسمون ابناءهم كلبا. وجحشا، وصخرا، وحجرا، وثعلبا، واسدا وعوفا[١] وغير ذلك من نحوه وبابه.

واذا ولينا وجهنا شطر الاعلام في العبرية، وجدنا ثمة العجب العجاب. فالمعتقدات الدينية هي سبب كثير من التسميات. فبابل مثلا، دعيت بهذا الاسم لان الرب هناك بلبل لسان كل الارض[٢] وابراهيم عليه السلام يُغيِّر اسمه من ابرام الى « ابراهيم » باضافة علامة الجمع اللاحقة بـ ״□ (Plural marker) لأنه اصبح ابا لجمهور من الامم « فلا يدعى اسمك بعدُ ابرام، بل يكون اسمك ابراهيم لاني اجعلك ابا لجمهور من الامم[٣]. والملاحظ على الرغم من هذا النص الواضح في التوراة ان اليهود يتسمون بـ « افرام » و «أبراهام» ويرغبون عن الاسم الذي فيه اشادة بأبي الانبياء عليه السلام، وما سبب ذلك في نظري، الا ان اليهود يريدون أن يستأثروا بابراهيم، استئثاراً ينفي نسبة غيرهم اليه. وهذا يدلنا بوضوح ايضاً، على ان اللغة تتحكم فيها المواقف النفسية والاجتماعية والثقافية.

وفي اللغات السامية جميعا، كلمات انحدرت اليها من أصول سومرية أو كنعانية. نأخذ لذلك مثلا من العربية « شقائق النعمان » التي هي اسم لزهر برّي قان معروف في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وأصل هذه التسمية مأخوذ من اسطورة سورية قديمة تدور حول مقتل «أدونيس» اله الزراعة والخصب عند السوريين آنئذ. وكان لـ «أدونيس» اسم آخر هو النعمان. ولما قتل أدونيس احمّرّ هذا النبت البري من دمه وسميت أزهاره« شقائق النعمان ».
هذا، وأصل« أدونيس» هو« آدون »، وانما اضيفت الى آخره السين من اللغة اليونانية، حينما أصبح( هذا الاله). الكنعاني، معروفا عند اليونانيين، وأصبح من آلهتهم.

---

١ - العوف هو الطائر. ومن الاسماء العربية الشهيرة عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل. وبهذه المناسبة، فان كلمة « عوف » עוף في العبرية تعني « طائر » مثل العربية تماما.
٢ - العهد القديم، تكوين، ص ١١.
٣ - المرجع السابق، تكوين، ص ١٧.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى أن «تهامة» مأخوذ هو الآخر، من اسم الإلهة«تيامت» المعروفة في وثنية العراق، بكونها تهمين على الشطوط والسواحل ومصائد الاسماك[1].

## ٣- في النحو والتراكيب

أسلفت القول ان دراسة المجتمعات السامية، ومعتقداتها وكتبها الدينية، وثقافتها، ترفد الدراسة اللغوية المقارنة لهذه اللغات. وأضيف هنا، أن الدراسة اللغوية المقارنة يمكن ان توقفنا على فهم أشياء لم نكن لنجد لها بيانا شافيا. ان هذه المقارنات يمكن أن تدلنا على فهم أفضل لم ينتبه اليه أبناء اللغة وعلماؤها. ورد في قصة نوح في القرآن الكريم الآية التالية:«ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه»[2]. وقفت عند الواو الاولى في هذه الاية«ويصنع الفلك»، فما وجدت المفسرين يتحدثون عن هذه الواو بشيء، مع ان بعضهم ادرك أن الفعل المضارع «يصنع» يشير الى الماضي ويتحدث عنه. فقد قال أبو حيان النحوي» ويصنع الفلك حكاية حال ماضية[3]. وفي نظري أن الواو هي التي قلبت المضارع، فصرفت دلالته الى الماضي. وهي لذلك صنو الواو العبرية التي تسبق الفعل المضارع فتصرف دلالته الى الماضي. فقد ورد في العهد القديم، عند الحديث عن قصة نوح أيضا النص العبري التالي:

וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־נֹחַ בֹּא אַתָּה

وترجمت الحرفية«ويقول الله لنوح ادخل أنت .....» ولو أن النحاة العرب أفادوا من درس المقارنات، أو سلكوا سبيله، لاضافوا الى رصيد الواوات في العربية هذه الواو.

بل انني أذهب الى أبعد من هذا، فأرى ظواهر لغوية كثيرة، في اللهجات المحكية في البلاد العربية، مما يمكن ان يفهم في ضوء المقارنات بين اللغات السامية. وأضرب لذلك مثلا اللام التي تسبق المفعول به في كثير من اللهجات المحكية، فيقولون «أنا شفته لأحمد» يريدون «أنا رأيت أحمد» ويقولون «أنا ضربته لوليد» يريدون «أنا ضربت

---

(١) حسن ظاظا. **الساميون ولغاتهم**، ١٩٧١، ص ١٥.

(٢) سورة هود، ١١.

(٣) ابو حيان، **البحر المحيط** ج ٥، ص ٢٢١

وليدا». وهذه اللام تسبق المفعول به في اللغة الحبشية، فيقولون مثلا:

ፈጠርካሃ ፡ ለምድር

فاطركاها لَمْدر..، فتكون الترجمة الحرفية: خلقت للأرض، المراد: خلقت الأرض

ان أهم مشكلة تجابه علماء العربية اليوم هي تفسير ظاهرة الاعراب. ولقد تعددت الآراء في هذه الظاهرة واختلفت، فابراهيم أنيس مثلا، يرى أن الأصل في كل كلمة سكون آخرها، وان حركات الاعراب اخترعت للتخلص من التقاء الساكنين(١). ويبرر ابراهيم أنيس ذلك بقوله أن اللغات السامية غير معربة، وكذلك اللهجات العامية(٢).

وذهب ابراهيم السامرائي الى القول ان«العربية شفعية التعبير منذ أن كانت، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته، وهي ملتزمة بضوابط الاعراب، ولغة اخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا انفسهم بعناء هذه الضوابط(٣).

أن الذي ذهب اليه إبراهيم انيس، من ان الاعراب اخترع للتخلص من التقاء الساكنين، مردود بما يلي:

١ – ان المعنى يتغير بتغير الحركات الاعرابية في مثل: ضرب محمدٌ خالداً. فلو قلت: ضرب محمداً خالدٌ لاختلف المعنى. وهذا دليل على ان للاعراب وظيفة اخرى أكثر من مجرد وصل الكلام.

٢ – لقد اصبح مسلّما به في الدراسات اللغوية المعاصرة ان للاعراب وظيفة دلالية. فاللغة السندية مثلا، يرتبط فيها الاعراب **inflection** بالمعنى. وكذلك الامر بالنسبة للغات السامية.

٣ – اما الادعاء بأن اللغات السامية ليست معربة، فمردود بأن اللغة الحبشية لغة معربة، وكذلك اللغة الاكادية.

٤ – أما تحلل اللجهات المحكية من الاعراب، فليس دليلا على انه استعمل لمجرد وصل الكلام، والا لكان لنا أن نسأل ابراهيم أنيس لماذا اتى العرب بهذه الحركات المتنوعة لوصل كلامهم؟ الا تكفيهم الكسرة مثلا لوصل كلامهم كما هي الحال في الفارسية؟

---

١– ابراهيم انيس. **من أسرار اللغة** ص ص ٢٢٤ – ٢٥.

٢– المرجع السابق، ص ص ١٩٩ – ٢٠٠.

٣– ابراهيم السامرائي. **التطور اللغوي التاريخي**، ص ٦٨.

# المراجع

## أولا: المراجع العربية والمترجمة


١ – الأبراشي، محمد عطية وآخران. **المفصل في قواعد اللغة السريانية**. القاهرة، ١٩٣٣

٢ – ابن حزم. **الاحكام في اصول الاحكام**، القاهرة، ١٣٤٨هـ

٣ – أبو حيان النحوي، **البحر المحيط**، بيروت، ١٩٧٨.

٤ – ابو هلال، أحمد. **مقدمة الى الأنثروبولوجيا التربوية**، عمان، ١٩٧٤

٥ – أنيس، ابراهيم، **من أسرار اللغة**، القاهرة، ١٩٧٥.

٦ – بروكلمان، كارل. **فقه اللغات السامية**، جامعة الرياض، ١٩٧٧.

٧ – بشر، كمال محمد. **علم اللغة العام**، الاصوات، ١٩٧٣ القاهرة.

٨ – حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣.

٩ – سيبوية، الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، ١٩٧٥.

١٠– السامرائي، ابراهيم. **التطور اللغوي التاريخي**، بيروت، ١٩٨١.

١١– سواح، فراس. **مغامرة العقل الاولى**، دمشق، ١٩٧٦.

١٢– ظاظا، حسن. **الساميون ولغاتهم**، القاهرة، ١٩٧١.

١٣– عبد التواب، رمضان، **اللغة العبرية**، القاهرة، ١٩٧٧.

١٤– عبد التواب، رمضان. **فصول في فقه العربية**، القاهرة، ١٩٧٧.

١٥– عبد التواب، رمضان. **في قواعد الساميات**: القاهرة، ١٩٧١.

١٦– عبد الرؤوف، عوني. **قواعد اللغة العبرية**. القاهرة، ١٩٧١.

١٧– عبده، داود. **أبحاث في اللغة العربية**، بيروت، ١٩٧٣.

١٨– الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**، بغداد، ١٩٦٧.

١٩– كمال، ربحي. **التضاد في ضوء اللغات السامية**، بيروت، ١٩٧٥

٢٠– الهاشمي، أحمد. **جواهر البلاغة**، بيروت، بدون تاريخ.

## ثانيا : المراجع الأجنبية


1- Anttila, R. **Anintroduction to Historical and Comparative Linguistics. N.Y.** 1972.

2- Beeston, A.F. **A Descriptive Grammar of Epiqraphic South Arabian,** London, 1962.

3- Brame, M. **Arabic Phonology.**NonPublished Ph.D. dissertation, M. I.T.1970

4- Friedrich,P.**Language, Context, and the Imagination**.tanford, 1979

5- Jeffers, R.& lise Lehiste. **Principles and Methods for Historical Linguistics.** M.It. 1980

6- Lightfoot, D. **Principles of Diachronic Syntax.** Campridge Un.Press, 1979

7- Pyles, Th.**The Origins and Development of The English Language. N.Y. 1971**

**8- Shopen, T,Languages and Their Speakers**.Cambridge,1979.